سلسلة تصدر عن مجلة البيان

كتاب البيان ٦٩

سوء تعليم المرأة في الغرب

للكاتب البروفيسور

جيمس تولي

دراسة وتلخيص

أي، جي ويلكنسُن

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أولاً: وقبل كل شيء أريد أن أقول بأن هذا المشروع المتواضع ما كان له أن يتكلل بالنجاح لولا توفيق الله سبحانه وتعالى، وهو ـ عز وجل ـ وحده الذي يعلم نيّتي في القيام به.

إني أحمد الله ـ سبحانه وتعالى ـ وأشكره على أن وفّقني للعيش في المملكة العربية السعودية، حيث هيّأ لي فرصة التعرف أكثر على دين الإسلام، وتعلّم مبادئ هذا الدين العظيم وتعاليمه السمحة من أصوله الصحيحة دون أية تأثيرات خارجية.

وأتقدّم بالشكر للبروفيسور «جيمس تولي» لتأليفه هذا الكتاب المهمّ، وموافقته لي على القيام بتلخيصه، وترجمة هذا الملخص إلى اللغة العربية.

كما لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدّم بجزيل الشكر والعرفان للأخت «نادية الشيخ» والبروفيسور «نورة العدوان»؛ لتشجيعهما لي على إتمام هذا المشروع.

كما أتقدم بشكري وامتناني للدكتور «عبد الهادي آدريان فارنهام» الذي ساعدني على إكمال المشروع، والأستاذ «العربي بن رزوق» الذي قام بترجمة الملخص. وأتقدم بالشكر كذلك لزوجتيهما الأخت «أم هاني»

والأخت «أم حمزة» اللتين قامتا بدور الوسيطتين بيني وبينهما. ولا أنسى أن أتوجـه بالشكر كـذلك للأخـتين الكريمتين «أم أيوب وأم بشـيـر» اللتين شجعتاني على إتمام مشروع التلخيص.

وأخيراً أتوجه بالشكر والتقدير لزوجي وأسرتي التي لولا تشجيعهما لي لما كُتب لهذا المشروع النجاح.

أسأل الله ـ تعالى ـ أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم، وأن يجزيهم عنّي وعن المسلمين خيـر الجـزاء، كـمـا أرجـو أن يعود هذا المشـروع على كل من يقرؤه بالنفع والفائدة.

مقدمة

كل مرة يكون التعليم في المملكة العربية السعودية موضوع نقاش في وسائل الإعلام أو في الأوساط الأكاديمية الغربية أو العربية غالباً ما يتعرض المنهاج الدراسي للانتقاد.

ومن جملة الانتقادات الشائعة التي يتعرض لها المنهاج الدراسي أنه يرسّخ فكرة أن المرأة تحتل درجة أدنى من درجة الرجل، وأنها تابعة وخاضعة له، وأنه يمنعها من أخذ موضعها الملائم واللائق بها في المجتمع.

وقد تناقلت وسائل الإعلام ـ بشكل مكثف ـ تساؤل الحكومات العالمية والمنظمات الدولية عن سبب «إقصاء» المرأة السعودية من الحياة العامة وعن تقييد خياراتها التعليمية، والسبب في ذلك هو البحث عن تبرير «الظلم والقهر» ووضع ضغوط قوية على القيام بإصلاحات تعليمية تتفق ووجهات النظر الغربية.

ومن الأشياء التي لا تذكرها لغة وسائل الإعلام المنمّقة والطنّانة ـ التي تتّسم عادة بالمغالاة وعدم الصدق ـ هو الاعتراف بأن السياسات التعليمية الغربية تظلم المرأة، وذلك بإجبارها على دراسة مواد دراسية لا تسترعي اهتمامها، وكذلك بإجبارها على المشاركة في الحياة العامة طوعاً أو كراهية.

ومن الأمور الغريبة أنه يُعتبر كل من له اهتمام بتعليم الفتيات مخالفاً

للقانون إذا ما اقترح على فتاةٍ ما بأنه يمكن اعتبار الأمومة والأسرة بديلين مقبولين عن الوظيفة.

كما أنه من الأشياء التي لا تذكرها وسائل الإعلام هي النتائج السلبية التي تتعرض لها النساء بمفردهن والأُسر بوجه خاص والمجتمع بوجه عام، والتي تأتي عادة كنتيجة مباشرة لهذه السياسات التعليمية.

إن المجتمعات التي تسعى لإجبار الدول الإسلامية على تبنّي مقاييسها تعاني هي نفسها من أزمة قاسية على كافية المستويات بكافة المقاييس الاجتماعية والأخلاقية باعتراف هذه المجتمعات نفسها ، إلا أن مفهوم الأسرة نفسها يظل الأمر الذي يتعرض للانتقاد أكثر من غيره.

يتكوّن المجتمع السليم من أُسر سليمة، كما أن للأسرة السليمة بنية خاصة تدور حول الزوجة والأم. وللأسباب الأكثر جلاء ـ البيولوجية والطبيعية والنفسية ـ يظل دور المرأة في الأسرة ذا قيمة كبيرة ومعترف به. إن المهتمين بكل ما يخص المرأة والأسرة يعلمون ـ من خلال التجربة المباشرة ـ بأن محاولة تغيير الطبيعة الفطرية للفتيات ـ وذلك بتشجيعهن على العدوانية والمنافسة العلنية مع الأولاد، وكذلك محاولة تغيير بنية الأسرة من خلال «الهجرة القسرية» للنساء من الحياة الأسرية الخاصة إلى حياة الوظيفة العامة ـ ستؤدي لا محالة إلى أضرار ومخاطر جسيمة على الأسرة والمجتمع على حدٍّ سواء.

إن الغرب ـ الآن ـ ينظر إلى ما تبقى من المجتمعات التقليدية في الدول

النامية على نحو متزايد أثناء بحثه عن حلول لمشكلاته التي تبدو معالجتها مستعصية للغاية.

ومنذ الستينيات من القرن الماضي قامت بوضع السياسات التعليمية في الغرب النسوياتُ اللاتي يحتلين مناصب حكومية وأكاديمية وفي وسائل الإعلام، وكان جدول أعمالهن هو «تحرير» النساء من الحياة المنزلية، و«تأنيث» المنهاج الدراسي القائم على «النظام الأبوي».

والطريقة التي اتبعتها هؤلاء النسويات هي التأكيد على أن كافة الطلاب ـ بغضّ النظر عن ما أسمينه بالنوع الاجتماعي أو «الجندر» ـ يحق لهم قانوناً دراسة نفس مواد المقرر.

وعلى الرغم من أن الاختيار لا يُسمح به في السنوات التكوينية الأولى إلا أن الاختيار المحدود لا زال في الصفوف ذات المستويات العليا.

والشيء الذي يؤرق النسويات ويزيدهن غمّاً هو أنه كلما أُعطيت الفرصة للفتيات لاختيار ما يرغبن في دراسته من مواد فإنه غالباً ما يقع اختيارهن على المواد «الأنثوية» التقليدية، مثل: علم الاجتماع والتاريخ، ولا يأبهن بالمواد «الذكورية»، مثل: الرياضيات والعلوم، ولمواجهة هذه الورطة يتم إعداد سياسات تعليمية باسم المساواة وحرية الاختيار؛ للزيادة في تحديد الاختيارات التعليمية عند الفتيات.

وقد مرّت أكثر من أربعين سنة ـ الآن ـ على فرض نفس المواد الدراسية في المدارس على الأولاد والبنات بتأثير من مفكّرات الحركة النسائية، وخلال

ذلك الوقت وجدت العديد من النساء أنفسهن واقعات في «فخ» وظائف مملّة وذات راتب ضئيل، لا هُنّ يتمتعن بهذه الوظائف ولا يرغبن فيها، ونتيجة للسياسة التعليمية التي تشجع البنات على تقديم الوظيفة على الأسرة وجدت العديد منهن أنفسهن عازبات ودون أطفال، وفي حاجة شديدة إلى الزواج وإنجاب الأطفال، كما أن العديد منهن يمزج بين الوظيفة والأسرة بدرجات متفاوتة من النجاح، إلا أن أطفال الكثير من النساء العاملات تُركوا لوحدهم دون تربية أو مراقبة، فقط لأن أمهاتهم يتركن البيت من أجل الوظيفة.

ونظراً لأن الأطفال الذين يعيشون مع آبائهم يشكلون نسبة ضئيلة في العديد من المدارس فإن هذا يعني أن عدداً كبيراً من الأطفال لا يخضعون للمراقبة، مما يؤدي ـ لا محالة ـ إلى تعلّم ما لا تحمد عقباه من الممارسات غير الأخلاقية.

ومن الأشياء المعلومة أنه بالإضافة إلى ازدياد الطبيعة العدوانية عند الفتيات فإن انهيار بنية الأسرة يعتبر عاملاً مساهماً ومهمّاً في ظهور الممارسات الجنسية المختلطة وغير المشروعة، وظهور حالات حمل الفتيات المراهقات، وموجات العنف، وحالات تعاطي المخدرات، وشرب الخمر، في أوساط الفتيات في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا.

ومن الملاحظ أن المشكلات التي تحير وتقضّ مضجع المجتمعات الغربية لا تكاد تذكر في العديد من المجتمعات الإسلامية، والدروس التي يمكن

الاستفادة منها هي أن التغييرات الرئيسة في السياسة التعليمية قد تؤثر في المجتمعات إلى حدٍّ كبير وبكيفيّة غير متوقعة، كما يمكن أن تكون لها آثار ارتدادية واسعة النطاق لسنوات عديدة.

لا ريب أن السياسات التعليمية تؤثر في سلوك الأطفال، وأن القيام بإصلاحات تعليمية على غرار الإصلاحات التعليمية في المجتمعات الغربية سيكون لها أضرار فادحة وعواقب وخيمة، ولهذا ينبغي التفكير بعناية في الكيفية التي نرغب أن تؤثر التغييرات في السياسة التعليمية على الأفراد والأسرة والمجتمع بشكل عام في السنوات القادمة.

حتى المراقب اللا مبالي للمجتمع السعودي لا يسعه إلا أن يلاحظ التغييرات السريعة التي طرأت على هذا المجتمع في السنوات العشر الأخيرة.

ولكوني امرأة فقد شعرت بالحزن والأسى بسبب التوقعات التي طرأت على تفكير العديد من النساء السعوديات. هناك أعداد هائلة من الفتيات السعوديات اللاتي يتخرجن من الجامعات ويلتحقن بسوق العمل كما في بلاد الغرب تماماً ويحاولن بذلك أقلمة طبيعتهن الأنثوية مع المجال العدواني العام الذي يتنافسن فيه مع الرجال.

ولا شك أن هناك أعداداً كبيرة متزايدة من خريجات الجامعات اللاتي فاتهنّ قطار الزواج لتقديمهن الوظيفة على الأسرة، وهذه الظاهرة بلا أدنى شك إرهاصات ظهور التقليد الأعمى لمنهج الحياة الغربية الذي يستغلّ

النساء أيّما استغلال.

وقد شهدت الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة في السنوات الأخيرة احتجاجاً ضد إرساء قواعد الحركة النسوية في المدارس من قِبَل الرأي العام والرأي المهني.

وقد بدأت العديد من الأفكار والدراسات تظهر إلى حيز الوجود وتتحدى النسويات العاملات في الحقلين الأكاديمي والسياسي، ومحاولة زعزعة قبضتهن الحديدية على السياسة التعليمية المتبعة هناك. وبرزت هناك أصوات وآراء للعديد من الناس الذين عبروا عن آرائهم بحريّة ومن غير خوف أو تردّد، وكتبوا ضد جدول أعمال الحركة النسوية، إلا أن أصوات وآراء هؤلاء ظلت غير مسموعة أو تم تجاهلها بكيفية أو بأخرى.

وقد ظهر مؤخراً كتاب يمكن القول من خلال الضجة التي أحدثها نشره بأنه أغضب المؤسسة المؤيدة للحركة النسوية.

وهذا الكتاب الذي قمت بتلخيصه في الصفحات التالية يحمل عنوان «سوء تعليم المرأة» للكاتب البريطاني البروفيسور (جيمس تولي James Tooley) الذي يعمل بوظيفة أستاذ السياسة التربوية بجامعة «نيوكاسل أبون تاين البريطانية».

وهذا الكتاب يقدم دراسة عميقة وشاملة للسياسات التعليمية المتبعة حالياً في أمريكا وبريطانيا، ويعالج هذه القضية بالحجة والمنطق، مبيناً ما إذا كانت هذه السياسات التعليمية المطبّقة تخدم مصالح النساء فعلاً أم لا.

والسبب في الضجة التي أحدثها نشر هذا الكتاب ليس فقط أن المؤلف استنتج بغير تحفّظ بأن هذه السياسات ليست في مصلحة النساء البتة، وأن لها أضراراً وخيمة على النساء والأسرة والمجتمع عموماً فحسب، ولكن لأن الكاتب ـ أيضاً ـ وصف نفسه في الكتاب بأنه كان من منظري الحركة النسائية، وكان يقوم في وقت سابق بوضع السياسات نفسها التي ينتقدها الآن بقسوة.

وفيما يلي بعض التوصيات الرئيسة التي أوردها المؤلف في هذا الكتاب:

١ ـ فتح مجال المناقشات العلنية واحترام الآراء المغايرة والبديلة المتعلقة بهذه القضية.

٢ ـ لا ينبغي أن يكون المأخذ التباييني لمادتي العلوم والرياضيات حسب الميول الطبيعية للجنسين مصدر قلق لكونهما يعكسان تفضيلات طبيعية.

٣ ـ لا ينبغي فرض الحياد أو الانحياز للنوع الاجتماعي «الجندر» على المؤسسات التعليمية.

٤ ـ ينبغي تحديد السياسات المثلى القائمة لـ«الجندر» من خلال الإبداع والابتكار، وليس من خلال الافتراض.

٥ ـ وأهم شيء في هذا الأمر هو التسليم بأن الأولاد والبنات لهم أوليات مختلفة في حياتهم، ولا ينبغي وضع ضغوط عليهم في اختيار ما يرغبون في دراسته.

من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن النساء اللاتي يدّعين أنهن يمثلن النساء

عليهن أن يمثلن النساء عموماً. إن النساء المهنيات الغربيات اللاتي يتمتعن بمناصب حكوميـة أو أكـاديميـة أو إعـلاميـة ويدّعين أنهن يمثلن النسـاء في الغرب بعيدات كل البعد عن تمثيل النساء الغربيات، بل هنّ في حقيقة الأمر استثناءات للقاعدة.

إنه يتعين على السياسات التعليمية أن تعطي فرصة لكافة النساء لاختيار ما يرغبن فيه مع بعض الاستثناءات، إلا أن هؤلاء الممثلات اللاتي اخترن هذا الطريق أجبرن كافة النساء على عبور هذا الطريق، فكانت النتيجة بطبيعة الحال مشؤومة.

وإني لأرجو وأطلب من الجميع أن يقوموا بدراسة متأنّية ومتعمّقة لقضية استغلال النساء في الغرب، والأزمات التي تمرّ بها أُسرهن ومجتمعهن، وكذلك دراسة جدول أعمال الحركة النسائية، وكذا جدول الأعمال المناهض لهذه الحركة قبل وضع تغييرات جوهرية في السياسات التعليمية فضلاً عن تطبيقها.

إنه من الأمور التي تدعو للسخرية أن تشرع دول الغرب في التخلّي عن تجربة برهنت على فشلها مراراً وتكراراً في الوقت الذي تقوم فيه دول العالم الإسلامي بالتقليد الأعمى والساذج لهذه التجارب الفاشلة [وعندها في دينها ما يغنيها عن كل ذلك].

إي، دجي ويلكنسن

١٣ شعبان ١٤٢٦ هـ، الموافق لـ١٧ سبتمبر ٢٠٠٥ م

سوء تعليم المرأة

ملخص الكتاب

«جيمس تولي» أستاذ السياسة التربوية بجامعة «نيوكاسل أبون تاين» البريطانية، وصاحب كتاب «إصلاح التعليم»، وكتاب «صناعة التعليم العالمية»، وله مساهمات عديدة في صحف «لندن تايمز والغارديان ونيو ستيتسمان» وبعض الصحف والدوريات الأخرى، ويعيش بإنجلترا.

عندما صدر كتاب البروفيسور «جيمس تولي» لأول مرة عام ٢٠٠٢م في إنجلترا تعرّض لانتقاد لاذع من قِبَل كاتبات الحركة النسائية في وسائل الإعلام الوطنية والدولية بسبب الأفكار التي أوردها فيه، إلا أنه تلقى في نفس الوقت مئات الرسائل التي تشكره على الإقدام على تأليف هذا الكتاب، مما أدّى به إلى طرح التساؤل عن: مَنْ من الفريقين بعيد كل البعد عن اهتمامات المرأة المعاصرة؟ هل الكاتب نفسه أم رموز الحركة النسائية؟

ويعتقد البروفيسور «تولي» بأن السياسة التعليمية الحالية في الولايات المتحدة الأمريكية وفي الدول التي تقلّدها تقليداً أعمى ليست في مصلحة النساء البتة، كما أن رموز الحركة النسائية يتمتعن بنفوذ قوي في أمريكا وبريطانيا بحيث لا يجوز للمستشار المهني في أمريكا أو في بريطانيا ـ قانونياً ـ أن يقترح على الفتاة أو المرأة الشابة بأن اختيار وتفضيل الأمومة أو الحياة الأسرية على الوظيفة خيار مقبول.

كـمـا يعـتـقـد أنه ينبغي أخذ الفوارق الجنسية بالاعتبار عند القيام بالتخطيط للسياسة التعليمية، وأنه ينبغي الاقتناع بحقيقة اختلاف البنات عن الأولاد، وباحتمال رغبتهن في شغل وظائف تختلف عن الوظائف التي يشغلها الأولاد في حياتهن المستقبلية.

ويقول: إننا في الحقيقة استبدلنا مجتمعاً كانت فيه المرأة أمّاً بكامل ساعات الدوام بمجتمع يشجع كثرة استهلاك السلع التجارية ويسدّ شوارعنا بسيارات الأمهات العاملات وهُنّ يأخذن أطفالهن إلى المدرسة، مجتمع يتكون من أطفال مدلّلين وفاسدي الشخصية غائصين وسط كمٍّ هائل من اللُعب التي لا يهتمون باللعب بها بل يرغبون بالاختلاء بأنفسهم في غرف نومهم ومشاهدة العروض التلفزيونية المثيرة للغرائز الجنسية. والسبب في هذا راجع - إلى حدٍّ ما - إلى نجاح رموز الحركة النسائية (النسويات) في إقناعنا بأن الأمومة «طفيلية»، وبأن ربّة المنزل عالة على الرجل.

وقد تطرّقت الكاتبة النسوية الشهيرة (بيتي فريدان Betty Friedan) في أواسط القرن العشرين إلى ما وصفتها بأنها «مشكلة ليس لها اسم» قائلة: «لقد ظلّت المشكلة مدفونة في عقول النساء الأمريكيات ولم يتم الحديث عنها لسنوات عديدة. لقد أحدثت اضطراباً غريباً وشعوراً بعدم الرضا، اشتياقاً عانته النساء في أواسط القرن العشرين..».

وقامت بوضع عبارة «اللغز الأنثوي» لوصف ما اعتبرتها بأنها المشكلة التي واجهتها النساء في الستينيات من القرن العشرين، والمشكلة في نظرها تتمثل في «منع النساء من النمو إلى كامل طاقاتهن الإنسانية»، وترى بأن التعليم هو الحل لهذه المشكلة، التي وصفتها بأنها فخّ.

ويحاول البروفيسور «تولي» في كتابه هذا أن يبرهن بأن هناك مشكلة جديدة مضادة تماماً «ليس لها اسم» تواجهها النساء اليوم، وقام بوضع عبارة «متلازمة بريدجيت جونز» (the Bridgette Jones Syndrome) لوصف هذه المشكلة، ويعتقد كذلك بأن التعليم الذي تتلقاه البنات في المدارس هو المسؤول عن صياغة شخصيتهن وتفكيرهن حينما يتحولن إلى نساء؛ لأنهن يتعلمن دروس الاستقلالية والمساواة الكاملة مع الأولاد والأهمية البالغة للوظيفة.

ويرى بأنه ينبغي التركيز على تعليمهن التعليم الصحيح الذي يتناسب مع طبيعتهن للتصدي لهذه المشكلة.

وبالرغم من كثرة الإشارة إلى «بريدجيت جونز» في كتاب البروفيسور «تولي» إلا أنها لا تخرج عن كونها في الحقيقة شخصية خيالية، بدأت الحياة في عمود في صحيفة، تحوّل بعد ذلك إلى رواية رائجة، وأخيراً إلى فيلم سينمائي ذي صيت شعبي واسع.

و «بريدجيت جونز» هذه توصف بأنها شخصية ذكية في الثلاثين من

العمر غير متزوجة وغير سعيدة وراضية عن حياتها، وكبقية صديقاتها غير المتزوجات فإنها تستحوذ عليها رغبة قوية واضطراب جنوني في البحث عن زوج وإنجاب الأطفال. وتتعلق «متلازمة بريدجيت جونز» أساساً بالرغبة العارمة التي تشعر بها النساء العاملات في إنجاب الأطفال أكثر من أي شيء آخر، والعزاء الوحيد الذي تقدمه «بريدجيت» الخيالية لنفسها هو اعتقادها بأنها تنتمي لـ«جيل الرائدات» اللاتي تجرّأن على التخلّي عن الحب والأسرة، والاعتماد بدلاً من ذلك على قوتهن الاقتصادية، متمنيات أن تكون الأمور على أحسن ما يرام «بعد عشرين سنة».

ويوضح البروفيسور «تولي» في كتابه هذا بأن الرموز البارزة في الحركة النسائية ـ اللاتي أقنعن النساء في أول الأمر على هجر بيوتهن وأسرهن من أجل التنافس مع الرجال في عالم الرجال طلباً للربح المادي ـ يراجعن أفكارهن ثانية.

وأشار في هذا الخصوص إلى ما كتبته الكاتبة النسوية «فريدان» [بصراحة تبعث على الإعجاب] قائلةً: بأنها هي وغيرها من النسويات كن يتخوفن من الاعتراف بما أسمته «الأعراض المحيرة للألم»، أو مناقشة هذه الأعراض علناً، إلا أنهن لم يستطعن الاستمرار في إنكارها وكتمانها، واضطررن إلى معرفة ما إذا كانت هذه الأعراض تعني بأن هناك خطأً بليغاً بحيث يتعين عليهن معرفة هذا الخطأ، ومن ثم تغيير الوجهة مرة ثانية قبل فوات الأوان».

كما أشار إلى ما أوردته الكاتبة النسوية الشهيرة (جرمين غرير Germaine Greer) في آخر مؤلفاتها «المرأة الكاملة» بأن حياة النساء صارت أكثر صعوبةً وليس العكس، وتعتقد أن هذا الأمر يدعو للسخرية؛ لأن الثورة الجنسية التي ألهمتها ونفخت فيها الروح بأفكارها تعني بأن زمن معاناة النساء وإبقائهن على العلاقات غير السعيدة أو إنجاب الأطفال «بعكس إرادتهن» قد ولى، وبدلاً من توقّع «انخفاض درجة القلق عند النساء» بسبب العدد المتزايد من النساء اللاتي تخلّين في زعمها عن الزواج «المستبد»، وحقّقن استقلالهن عن الرجال إلا أن الأدلة تشير في رأيها إلى أن الأمر يزداد سوءاً بدلاً من ذلك.

وتقول: بأنه قبل ثلاثين سنة ـ أي: قبل تطبيق أفكار النسويات في المدارس ـ لم تكن هناك تقارير بخصوص ما يسمى «عدوى الهلع» أو فقدان الشهية أو التمثيل الذاتي بأعضاء الجسم، أما الآن فإن «صور المعاناة النسوية تحيط بنا من كل مكان».

وتوضح الدراسات الواحدة تلو الأخرى بأن نساء اليوم أقل سعادةً مما كان عليه الوضع قبل ثلاثين سنة.

والنتيجة التي توصل إليها الباحثون في أمريكا وبريطانيا هي أن الإصلاحات التعليمية القائمة على مساواة النوع الاجتماعي «الجندر» في المجتمع لم تحظَ بأي نجاح يذكر في أيٍّ من البلدين؛ لعدم جلبها للسعادة في صفوف النساء.

ويرى البروفيسور «تولي» بأنه لا أحد يقول بصراحة بأن سياسة التعليم الحالية ليست في مصلحة أغلبية النساء، ويعتقد بأنه يشعر بالتورط في المشكلة بحكم مكانته كأستاذ السياسة التربوية في جامعة مرموقة تابعة لمجموعة راسل (Russell Group)، وبأنه إذا التزم بالصمت حيال الصورة التعليمية الحالية فإنه سيكون مرتكباً لذنب إهمال الواجب.

ومن المواضيع المهمة التي يتناولها كتاب البروفيسور «تولي» هو أن المفكّرات النسويات لا يعبأن أو يقدّرن بعض الآراء، وخاصة آراء النساء الأخريات اللاتي يناهضن أفكار الحركة النسائية، ويرى أن هناك منهجاً في الجامعات وإدارات التعليم ووسائل الإعلام والمدارس تتبنّاه النسويات اللاتي يقمن بحجب بعض الآراء والأفكار قبل سماعها.

لقد كان المعتقد السائد في السبعينيات من القرن الماضي هو أن المدارس تتبنّى نظرة معادية للبنات، وبأنه ينبغي جعلها أكثر ودّية تجاههن؛ من أجل تعزيز قضية مساواة النوع (gender equality)، وكان الاعتقاد الأساسي السائد ـ آنذاك ـ هو أن التنشئة الاجتماعية هي المسؤولة عن اتخاذ الرجال والنساء قرارات قائمة على الصور النمطية الثقافية للرجولة والأنوثة، أي: أن الثقافات السائدة هي التي تحدث التغيير في فكرة (الأنثى) حول نفسها ودورها في المجتمع ثم مكانتها.

وللتخلص من مشكلة الصور النمطية للرجولة والأنوثة في المدارس تم تقديم المنهاج الدراسي الوطني لأول مرة، واعتبرت الإصلاحات التعليمية

دراسة الطلاب والطالبات لمواد مختلفة أمراً غير قانوني، وتم بذلك تقديم منهاج دراسي جوهري إجباري اضطر معه الطلاب والطالبات ـ على حدٍّ سواء ـ دراسة نفس المواد، وصدرت قوانين مماثلة في الولايات المتحدة الأمريكية الخاصة بالتعديلات التعليمية لعام ١٩٧٢م قامت بحظر تمييز النوع الاجتماعي «الجندر» في أية مؤسسة تعليمية تتلقى الدعم من الحكومة الفيدرالية، والجدير بالذكر بأن كافة المدارس تقريباً تتلقى اعتماداً مالياً من الحكومة الفيدرالية.

وبعد ثلاثين سنة من الإصلاحات التعليمية القائمة على النوع أو «الجندر» فقد تغيّرت المدارس إلى حدٍّ يعدو حدّ التصديق، إلا أن الصور النمطية في المدارس لا زالت قائمة، ذلك أنه كلما أعطيت البنات فرصة الاختيار فإنهن يخترن المواد التقليدية ذات الطبيعة الأنثوية.

ويؤيد هذا الكلام ما قاله كاتبا «إلغاء الفارق بين الجنسين» (Closing the Gender Gap) من أن «الإرث التاريخي لا يزال يحافظ على قبضته فيما يتعلق بالاختيار التعليمي كلما كانت هناك فرصة للأولاد والبنات لاختيار المواد [التي يرغبون في دراستها]. ويؤيد هذا القول أيضاً التقرير السنوي للجنة مساواة الفُرص لعام ٢٠٠٠م، والذي جاء فيه بأنه «على مستويات الكفاءة لا تزال الصور النمطية الجنسية سائدة كلما أُتيحت فرصة للاختيار».

وتعتقد كافة الهيئات الرسمية في أمريكا وبريطانيا بأن البنات

سيتعرضن للمعاناة من ناحية شغل الوظائف ذات الأجور المتدنّية، كما أن الاقتصاد سيعاني أيضاً؛ لأن القدرات التقنية ستصبح قليلة.

ولا زالت المشكلة تعود للمنهاج الدراسي. ومما يزيد الطينة بلّة أنه بدلاً من قيام الهيئات الرسمية ـ التي يشرف على إدارتها مؤيّدو المساواة الكاملة بين الجنسين ـ بمحاولة إعادة تقويم الوضع والاعتراف بالخطأ المتعلق بنظرية التنشئة الاجتماعية المتعلقة بالنوع «الجندر»، إلا أنها لا تزال تؤكد على ضرورة الحاجة إلى المزيد من الإصلاحات التعليمية لتحقيق المساواة التامة بين الأولاد والبنات في اختيارهم مواد المقررات التعليمية.

وقد درس البروفيسور «تولي» كتابين صدرا حديثاً هما: «تعليم الآخر» (Educating the Other)؛ لمؤلفته (كاري بيشتر Carries Paechter) وكتاب «الرد على الانتقاد» (Answering Back)؛ لـ (جين كينوي Jane Kenway) (وسو ويليس Sue Willis)، والنتيجة التي توصل إليها الكتابان هي أنه قد لا يكون هناك أيّ خطأ في القول بالنمطية الجنسية في ذاتها شريطةَ تقدير الرأي الأنثوي أو تقديره أكثر من الرأي الذكوري.

ويبين البروفيسور «تولي» بأن هناك تضارباً بين الموقف النسوي التقليدي والموقف الذي تتبنّاه النسويات اللاتي يتفقن مع النتيجة التي توصل إليها الكتابان.

ويُعرَف التيارين النسويين الاثنين نسويات المساواة ونسويات التحرر.

يمارس الصنف الأول في نظره نفوذاً قوياً على الحكومة والإصلاحات

التعليمية في أمريكا وأستراليا وبريطانيا، ويمثل هذا التيار تلك القائلات بأنه لا فرق البتة بين الرجال والنساء، ولذلك فإنه بإمكانهن التنافس في كافة مناحي الحياة، كما يعتقدن بأنه هناك خطأ في القول بالنمطية الجنسية؛ لأنها تؤدي إلى فرض اختيارات سلبية على البنات والنساء.

أما الصنف الثاني فيمثل أولئك اللاتي اعترفن مؤخراً بأن هناك فرقاً بين الرجال والنساء، ويتعين الإفصاح عن ذلك علناً، كما يعتقدن بأنه ليس هناك خطأ إطلاقاً في القول بالنمطية الجنسية.

ويقول البروفيسور «تولي» بأنه عندما تشنّ النساء حرباً على النمطية الجنسية فيما يتعلق بالبيت والأسرة فإن هذا لا يزيدهن سعادةً، وبأن الخروج عن هذه النمطية لا يزيدهن إلا شقاوة على شقاوة.

ويتساءل عن ما إذا كانت التنشئة الاجتماعية والتكيف الاجتماعي سبباً في نشوء النمطية الجنسية، أو إذا كان هناك شيء يتعلق بتكوين طبيعة النساء هو المسؤول عن قيامهن باختيارات نمطية للمواد الدراسية والوظائف، مما يؤدي حتماً إلى تعاستهنّ.

ويخلص إلى القول بأنه قد لا تكون هناك علاقة بين الاختيارات التي تقوم بها النساء والتنشئة الاجتماعية، وأنه قد لا يعدو أن يكون السبب في تلك الاختيارات بيولوجياً.

ولم يعد يسمح لأي أحد التساؤل عما إذا كان ينبغي أن يكون تعليم الأولاد والبنات مختلفاً، وقد فاز في هذه المعركة نسويات المساواة الكاملة.

ويشير البروفيسور «تولي» إلى أن السياسة التعليمية التي تنتهجها

الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا هي تهيئة الطلاب والطالبات لأدوارهم في المجال الحكومي والسياسي وإغفال جانب البيت والأسرة تماماً من المقررات التعليمية، ولهذا يبدو جلياً بأن الهدف الأساسي والحقيقي لهذه السياسة هو إعداد النساء إعداداً يساهم في إنعاش الاقتصاد على حساب الحياة الأسرية.

ويتناول الكتاب ثلاثة موضوعات رئيسية:

١ ـ دراسة ما إذا كانت الحياة الأسرية عديمة القيمة ولا تجلب السعادة كما تدّعي النسويات.

٢ ـ دراسة ما إذا ما تم تحسين صورة عالم العمل والوظيفة وإعطاؤه قيمة أكثر من قيمته الحقيقية، وكذلك إذا ما قام بجلب السعادة لأغلبية النساء.

٣ ـ دراسة ما إذا كان تشجيع البنات على الاستقلالية سيكون له تأثير على طريقة تصرّف الأولاد تجاههن.

للردِّ على الادّعاء القائل بأن الحياة الأسرية عديمة القيمة ولا تجلب السعادة للنساء، يبين البروفيسور «تولي» بأن ضرورة تحرير المرأة من أعمال البيت تعود إلى امرأة فرنسية تدعى (سيمون دي بوفوار Simone de Beauvoir) قامت بتأليف كتاب بعنوان «الجنس الثاني» (The Second Sex) الذي ادّعت فيه بأن ربّات البيوت غير منتجات، وبأنهن يحيين حياة «الطفيليات» التي تكون عالة على غيرها، وألقت باللوم على مؤسسة الزواج، مدعيةً بأنه يحول النساء إلى

«مخلوقات سامة» و «طفيليات»، والحل الذي قدمته هو تحرر النساء من قيود الزواج. وقد تبنت الكاتبة «بيتي فريدان» نفس الموقف في كتابها الشهير «اللغز الأنثوي» (The Feminine Mystique).

ويرى البروفيسور «تولي» بأن أفكار وفلسفة «سيمون دي بوفوار» بخصوص النساء جاءت نتيجةً لعلاقتها الغرامية الطويلة مع الفيلسوف الوجودي (جون بول سارتر Jean-Paul Sartre) الذي كان يمقت الحياة الأسرية ويمقت فكرة اعتماد أي أحد عليه.

وقد أوردت «سيمون دي بوفوار» في سيرتها الذاتية كيف اتّهمها عشيقها «سارتر» بأنها «مجرد ربّة بيت»، وكيف أنها مقتت نفسها لأنها قامت بتخييب أمله. ويرى البروفيسور «تولي» بأن «دي بوفوار» قامت بعرض أفكار «سارتر» المبغضة للنساء في كتابها «الجنس الثاني»، كما يرى بأن التاريخ الفكري في القرن العشرين سيكون مختلفاً تماماً إذا عشقت «دي بوفوار» رجلاً آخر يمنحها ما تريده كامرأة وليس «سارتر» الذي كانت تنشر ما يمليه عليها من أفكار للإبقاء على العلاقة معه.

ولا زالت الكاتبات النسويات اليوم ينسجن على منوال «سيمون دي بوفوار» ويشوهن سمعة الحياة الأسرية، على الرغم من قيام بعض رموز الحركة النسائية اليوم بالتشكيك في أفكارهن السابقة، واعترافهن بأنهنّ كنّ مخطئات.

ويتساءل البروفيسور «تولي» عن ما إذا كانت المفكّرات النسويات ـ من

خلال حملتهن على عمل البيت، ومسؤولية تربية الأطفال ـ يمثلن كافة النساء في المجتمع الإنساني؟ أم يمثلن فقط أولئك اللاتي يعشن في الظلام الأخلاقي الدامس مثلهن؟ كما يعتقد بأن أولئك الذين يقاومون الهجوم الذي تشنّه الحركة النسائية قد وجدوا شيئاً أفضل لم تهتدِ إليه المفكّرات النسويات.

وفيما يتعلق بموضوع الوظيفة وما إذا كانت تجلب السعادة لأغلبية النساء، يرى البروفيسور «تولي» بأنه يتم تعليم البنات في المدارس بأنه لا يمكنهن تحقيق السعادة إلا باقتحام عالم السياسة والرياضة والعلوم والأعمال وليس في عالم البيت والحياة الأسرية. ويعارض الكثير هذا القول إلا أنهم لا يقولون بأنه يتعين على كافة النساء تقدير عالم البيت والأمومة.

وتصنف الكاتبة (كارولاين غراغليا Carolyn Graglia) في كتابها «السكون المنزلي» (Domestic Tranquillity) النساء إلى ثلاثة أصناف:

١ ـ صنف يكرسن أنفسهن للوظيفة؛ لعدم رغبتهن في الزواج أو لعدم قدرتهن على القيام بذلك.

٢ ـ صنف يتزوجن وينجبن الأطفال، ولكنهن يتخلّين عن دور رعاية الأطفال تاركات هذا الأمر لغيرهن، وكل ذلك في سبيل الوظيفة أو المنفعة الذاتية (مثلهن في ذلك مثل الطبقة الأرستقراطية القديمة).

٣ ـ صنف يخترن الزواج كوظيفة أولى ويكرسن حياتهن للحياة العائلية.

وتوضح «غراغليا» بأن هذه الأصناف الثلاثة من النساء كُنّ متعايشات قبل الستينيات من القرن العشرين، إلا أن الاختيار الوحيد الذي يقدم للنساء منذ ذلك الحين حتى الآن هو أنه لا يمكنهن النجاح في حياتهن إلا باقتحام عالم الرجال.

لقد كان الكثير من النساء من قبل لا يرغبن في العمل خارج البيت بمحض اختيارهن وليس بسبب عدم توفر فرصة الاختيار كما يحاول الكثير إقناعنا بذلك.

وتشير «غراغليا» بأن المجتمع كان يحترم المرأة ويعتقد بأنها تزاول نشاطاً قيماً وجديراً بالاحترام، إلا أن الحركة النسائية حطمت هذه الثقة، فقد كانت النساء يتمتعن بحرية أكثر لتحديد الاختيارات التي تتناسب وطبيعتهن، أما الآن فإن الضغوط التي يتعرضن لها في المدارس تحدّ من هذه الاختيارات؛ لإقناعهن بأن خيارات الرجال هي التي تهدي إلى الحياة الناجحة والسعيدة.

ويوضح البروفيسور «تولي» بأن النساء من كافة المشارب السياسية متّحدات الآن في قضية مشتركة ضد نسويات المساواة، ويحاولن استرداد أدوارهن الأسرية.

وتقول «غرير» في كتابها (المرأة المدجّنة Female Eunuch): «لقد حاولت أن أبرهن في السابق بأنه لا ينبغي اعتبار الأمومة وظيفة بديلة، أما الآن فإني أحاول أن أبرهن بأنه ينبغي اعتبار الأمومة اختياراً وظيفياً حقيقياً».

ويقول البروفيسور «تولي» بأن هؤلاء النساء يرغبن في أن تكون أصواتهن مسموعة جنباً إلى جنب مع أولئك النساء اللاتي حققن نجاحاً في مجال السياسة العامة.

ويستطرد ـ قائلاً ـ بأنه إذا كان الشيء يتم تحرير البنات منه ليس أكثر سوءاً كما تدعي النسويات، فإنه ينبغي استرداد قيم الحياة الأسرية والأمومة، ويضيف بأنه على النظام التعليمي أن يعكس قيم الحياة العائلية هذه بدلاً من العمل على الحطّ من قيمتها والعمل على استبدالها بتطلعات الذكور.

وفي كتاب «إلغاء الفارق بين الجنسين» تبدي النسويات رضاهن بسبب تخلّي الفتيات ـ لا سيما اللاتي ينتمين إلى الطبقة العاملة ـ عن المجال الأسري، وتحقيقهن للاستقلالية التامة عن الرجال من خلال الوظيفة، إلا أنه ليس بإمكان بنات الطبقة العاملة «المتحررات» الحصول على وظائف مكافئة مثل وظائف التعليم العالي التي تشغلها النسويات اللاتي قُمْن بتحريرهن! لقد وجد الكثير من النساء اللاتي يشغرن «وظائف مهنية» بأن مكافآت التحرر لم تفِ بالتوقعات التي وعدت بها النسويات، وأنه في عام ١٩٨١م بدأت الكثير منهن ـ بما في ذلك الكاتبة النسوية الشهيرة «فريدان» نفسها ـ تراودهن الشكوك بشأن مكافآت المساواة التامة بين الجنسين.

وتروي «فريدان» قصصاً واقعية عن نساء شعرن بخيبة الأمل بعد

اكتشاف وظائفهن «الناجحة» لا تعدو أن تكون في الحقيقة أعمالاً حقيرة غير منزلية، وقد دعت أمثال هذه القصص الواقعية البروفيسور «تولي» إلى التساؤل عن ما إذا كان عالم الرجال ساحراً فعلاً كما يدعي ذلك الكثير من الرجال.

وتحاول النسويات البرهنة على أنه بقيام النساء باقتحام عالم الرجال فإن أماكن العمل ستصبح «أنثوية» مما سيؤدي إلى تحسين أوضاع النساء، إلا أن شيئاً من هذا لم يحصل.

لقد كان مجال العمل والسياسة قبل ظهور الحركة النسائية يعتبر مجالاً خاصاً بالرجال فقط، أما المجال الخاص المتعلق بالبيت والأسرة فقد كان يعتبر مجال النساء؛ لأن هذا المجال يلائم طبيعتهن الأنثوية، وتعتقد النسويات بأن الادّعاء بأن كلا المجالين يتّسمان بنفس القيمة والأهمية أدّى إلى حجب «حقيقة النظام الأبوي» لبنية اجتماعية قائمة «على عدم المساواة وسيطرة الرجال»، كما يعتقدن بأن الطريق الوحيد لتحقيق العدالة هو إنهاء هيمنة الرجال وتوفير فرص للنساء والفتيات في المجال العام قدر الإمكان.

ويقترح البروفيسور «تولي» بأنه بدلاً من النظر إلى الوضع من وجهة النظر النسوية التقليدية التي تفضل مجال الوظيفة على مجال الأمومة والأسرة، فإنه ينبغي اعتبار إمكانية أن المجال الخاص الذي هو عالم البيت والأسرة أرفع مقاماً وأعظم قيمة، وأنه تم إقصاء النساء منه إلى مجال أدنى منزلة وهو عالم الوظيفة العام.

وتقول «غرير» بأن شعور النساء بالأسى لعدم كونهن جزءاً من عالم الرجال ليس بسبب عدم سماح الرجال لهن بالتسابق معهم في عالمهم الرجولي ولكن بسبب رغبتهن في ذلك، إلا أنهن يكتشفن بأن الوضع ميؤوس منه فقط عندما يتعرض غرورهن للضرر.

وتقترح «غرير» هنا قائلةً بأن الإناث اللاتي لا يتّسمن بالمنافسة لا ينتزعن السيطرة من الذكور الذين يتّسمون بهذه الصفة، بل يخترن بدلاً من ذلك العيش في مجتمع أنثوي مع الأطفال سواء بوجود قائد من الجنس الآخر أو بغير وجوده، وبالرغم من أن المجتمعات الإنسانية «المتقدمة» تعتبر هذه العزلة مؤشر تخلّف، وتعتقد بأن الاستبداد الذكوري هو الذي فرضه على النساء، إلا أن «غرير» تنظر إلى هذه العزلة على أنها «بديل يدعو إلى الاحترام»، وتعتقد بأنه على النساء اتخاذ قرار واعٍ بعدم الرغبة في رفقة الرجال أكثر مما يرغب الرجال في رفقة النساء، وتعتقد بأن البديلين المتاحين هما العزلة أو الهوان وليس هناك خيارات غيرهما.

وتفتتح «غرير» كتابها (المرأة الكاملة The Whole Woman) قائلة: «لقد تأملت في حياة النساء التي تعيش في المجتمعات المنعزلة ورأيت أنهن يتمتعن بالقوة في العديد من المناحي». وهذه المجتمعات «المنعزلة» هي على وجه الضبط تلك التي يكون فيها المجال الخاص / العام أقوى، بحيث تكتسب المرأة السلطة والنفوذ كلما كبرت في السّنّ على العكس تماماً من مجتمعاتنا حيث لا يفضل الرجال إلا النساء الأصغر سنّاً.

وفي معرض حديثها عن الاكتئاب الذي أصابها بعد الولادة، تقارن (نومي وولف Noami Wolf) بين الثقافة الأمريكية وثقافة المجتمعات التقليدية فيما يتعلق بموضوع الوضع قائلةً: بأن الأم في هذه الظرف الصعب تكون محاطةً في المجتمعات التقليدية بمجموعة من النساء كلهن يعرفن بأن مكانتهن مهمة للغاية، وهؤلاء النساء هنّ اللاتي يشرفن على رعاية الأم بعد الوضع، أما في أمريكا فليس هناك جماعة مماثلة من النساء تقمن برعاية الأم؛ لأن كافة النساء يذهبن إلى العمل، وهنّ مجبرات على ذلك بسبب إقناع المجتمع لهن بأن عالم الرجال يَفضُل عالَمَ النساء بكثير. ويلفت البروفيسور «تولي» انتباهنا هنا إلى أنّ كلا صنفي الحركة النسوية (نسويات المساواة ونسويات التحرر) اللاتي تمثلهما كل من (غرير Greer) و (وولف Wolf) بدأن في التأثر بفضائل المجتمعات التقليدية والانجذاب نحوها.

ويبدي البروفيسور «تولي» قلقه بكون الاستقلال الذي تتمتع به الشابات حالياً يرفض إمكانية اعتزال الرجال، ولأنهن يرفضن الاعتماد المتبادل بين الرجال والنساء فإنهن في الحقيقة يفتقدن إلى شيء بالغ الأهمية.

وتعتقد النسويات بأن السبب في «أزمة الذكورة» هو عدم قيام الرجال بالالتزام بالرؤى «التقدمية» تجاه النساء، ويرغبون في الوقت ذاته في نموذج الأسرة التقليدي الذي كان سائداً في العهد الفيكتوري. وهم يعتقدون خطأ

بأن الرجال مستقلون وأحرار، لكن الحقيقة أنهم غير أحرار كما يتصورون. إن المراهقين والشباب يرغبون في الاعتماد المتبادل، إنهم يرغبون في القدرة على إعالة زوجاتهم وأطفالهم.

وتقول «فريدان» في كتابها «المرحلة الثانية» بأنها فطنت الآن إلى أن كافة العلاقات تدور حول الاعتماد المتبادل بين الرجال والنساء. ومن مظاهر هذا الاعتماد المتبادل الذي أدركته «فريدان» ـ والذي لن يحظى البتة بتأييد رموز الحركة النسائية ـ هو استعداد المرأة للتخلّي عن وظيفتها والعيش من خلال وظيفة زوجها.

ويضرب البروفيسور «تولي» مثالاً بالسيدة (روز فريدمان Rose Fredman) وزوجها (ميلتون فريدمان Milton Friedman) قائلاً: بأن «روز» كانت تتمتع بنفس ذكاء وموهبة زوجها قبل الاقتران بها، ولكن عندما اقترن بها تخلّت عن الوظيفة وتفرغت للأمومة. وقد كتبت في مذكراتها بأن قرار التخلّي عن الوظيفة لم يكن بسبب تمييز جنسي تم فرضه عليها، بل إن أساتذتها من الذكور هم الذين عرضوا عليها الوظيفة، وأن هذا القرار جاء نتيجة قناعتها بأن هناك أمراً أهم بكثير من الوظيفة يتعين عليها القيام به. وبعد عدة سنوات من الإشراف على تربية أطفالها بنفسها عادت إلى الوظيفة، ولكنها لم تحرز نجاحاً يضاهي نجاح زوجها، وعندما سئلت عن رأيها في نجاح زوجها ردّت بأنها لم تشعر ولو مرة واحدة بالمرارة إزاء هذا الأمر بل اعتبرت نجاح زوجها في الحقيقة نجاحاً لها أيضاً.

ويرى البروفيسور «تولي» بأنه ليس هناك عيب في اختيار السيد والسيدة «فريدمان» العيش بكيفية يتم فيها تطبيق الصور النمطية، كما أنه ليس هناك عيب في قيام المجتمع بالنسج على منوالهما، إلا أن المفكِّرات النسويات يفكرن بطريقة مختلفة تماماً؛ لأنهن يرغبن في تحرر النساء من الاعتماد على الرجال، ويعتبرن كل شيء ما عدا هذا الأمر ضرباً من «الرومانسية العاطفية»، ويرى البروفيسور «تولي» بأن المشكلة الآن تكمن في التأثير الرهيب الذي تمارسه المفكِّرات النسويات في المجال التعليمي اليوم عموماً.

ويعترف البروفيسور «تولي» بأنه ليس كل النساء يرغبن في حياة شبيهة بحياة «روز فريدان»، مضيفاً بأنه سيكون دائماً هناك استثناءات للقاعدة، وبأن المجتمع الذي يسمح بالاستثناءات ولكنه لا يلح على أن يكون كل شخص فيه هو الاستثناء هو في الحقيقة مجتمع سليم.

وتشير المفكِّرات النسويات إلى أن الرجال لم يعودوا معيلين يُعول عليهم، إلا أن البروفيسور «تولي» يرى بأن مسألة كيفية جعل الرجال يعول عليهم لا يمكن أن تتم عن طريق الإصلاحات التعليمية القائمة على «الجندر» في المدارس والتي تؤيدها النسويات.

ويرى (روجر سكراتن Roger Scruton) بأن تقلّص مستوى الاعتماد على الرجال جاء نتيجةً لانهيار دورهم الاجتماعي كمعيلين وموفرين الحماية للنساء، مشيراً إلى أن الزواج كان يعتبر التزاماً دائماً

وآمناً، بحيث كان يمنح النساء المكانة الاجتماعية اللائقة والحماية الكافية حتى بعد مضي سنّ الزهور وذبول جاذبيتهن الجنسية، كما منحهن مجالاً تسُدن فيه.

لقد كان الرجال والنساء آنذاك يحترمون مجال بعضهم البعض، ويعترفون بأنه على كل منهم التنازل عن شيء من الأشياء لتحقيق المصلحة المشتركة، إلا أن الثورة الجنسية غيّرت كل ذلك، بحيث أجازت للرجل الممارسات الجنسية المختلطة ولم تمنعه من الزواج الأحادي المتكرر، بمعنى آخر استغلال المرأة في سنوات شبابها ثم التخلي عنها بحثاً عن امرأة تفوقها شباباً ونضارةً بعد ذلك، ونتيجة كل ذلك هو حرمان النساء من المجال الخاص بهن الذي يوفر لهن الأمان والرعاية الكاملة.

وتعود النسبة المتزايدة في عدم الأمن والاستقرار عند النساء المتزوجات - إلى حدٍّ ما - إلى احتقار الحياة العائلية والتقليل من شأنها، وإلى الطلاق الذي لا يقع فيه اللوم على أي طرف فيه، وتقول (ميلاني فيليبس Melanie Philips) بأن هذا النوع من الطلاق الذي أصبح منتشراً بسبب الأفكار النسوية الهدّامة يحطّ من قيمة الزواج، كما تقول بأنه عندما يتم التخلّي عن التعهد للحياة الزوجية بدون أي سبب مقبول - كما يحصل في هذا النوع من الطلاق - فإنه يصبح أقل قيمة من عقد شراء سيارة مستعملة.

لقد قامت الثورة الجنسية من خلال تشجيع الفتيات في المدارس على

الاستقلالية بحرمان الرجال من الاعتماد المتبادل.

وتحاول النسويات البرهنة على أن كل ما يحصل يأتي نتيجةً لممارسات التنشئة الاجتماعية والتكيف الاجتماعي وأنه يمكن تغيير هذه الأشياء، إلا أن البروفيسور «تولي» ينتقد ادّعاءهن الخاطئ هذا ويعتقد أنه قد تكون هناك فروق بيولوجية (فطرية) بين الجنسين تساهم في ميول الجنسين إلى مصادر مختلفة للرضا والسعادة.

ولهذا فإن هناك حاجة ملحة لفهم الفوارق الثقافية والبيولوجية بين الرجال والنساء ولتحديد ما إذا كانت التنشئة الاجتماعية والتكيف الاجتماعي والثقافة هي المسؤولة عن هذه الفوارق الملاحظة.

وبطريقة مماثلة يتعين إيجاد أسباب الشقاوة التي تعاني منها العديد من النساء عندما ينتقلن من مجال يمكن أن يكون مصدراً لسعادتهن إلى مجال لا يوفر لهن هذه السعادة إطلاقاً.

كان من نتائج البحث الذي قام به (كريس وودهيد Chris Woodhead) لمصلحة هيئة التفتيش على المدارس (أوفستيد) والذي يحمل عنوان «البحث الجديد لمفهوم «الجندر» والأداء التعليمي» بأن هناك إجماعاً عاماً على أنه «لا يحتمل أن توفر التعليلات البيولوجية أسباباً كافية لاختلافات «الجندر» في الأداء الأكاديمي». والشيء الغريب في هذا البحث هو أنه تم الاعتماد على مرجع واحد للوصول إلى هذه النتيجة، وهذا المرجع يرجع للكاتبة (دايان هالبرن Diane Halpern) وهو بعنوان

«اختلافات (الجندر) في القدرات الإدراكية» (Sex Differences in Cognitive Abilities)، والأغرب من ذلك كله هو أن هذا التقرير توصل إلى موقف مخالف تماماً للموقف الذي تبنّته «هالبرن» نفسها في هذا الأمر.

ففي مقدمة كتابها هذا تبين «هالبرن» كيف كانت تعتقد سابقاً بأن الفروق بين الجنسين فيما يتعلق بالقدرات الفكرية ترجع أساساً لممارسات التنشئة الاجتماعية (أي: أن كل ذلك هو من صنع المجتمع، وثقافته، وأفكاره السائدة)، كما يرجع إلى الأشياء التي من نتاج براعته، وكذلك الأخطاء التي وقعت فيها البحوث، ولكن بعد البحث في المجلات المتخصصة والمقالات وثيقة الصلة بالموضوع اضطرت إلى تغيير وجهة نظرها، حيث تبين لها بأن هناك فعلاً فوارق حقيقية وفي بعض الحالات فوارق كبيرة جداً بين الجنسين هي التي تعلل القدرات الإدراكية، وتضيف أنه بالرغم من أهمية ممارسات التنشئة الاجتماعية التي لا يرقى شكّ (في تأثيرها) فإن هناك أدلة قاطعة على أن الفروق بين الذكر والأنثى تلعب دوراً مهماً في تثبيت الفوارق الإدراكية بين الجنسين والحفاظ عليها. هذا ولم تكن «هالبرن» تتوقع أن تصل إلى هذه النتيجة عندما شرعت في البحث في المراجع ذات الصلة بالموضوع!

ويحدد البروفيسور «تولي» في كتابه فوارقَ «الجندر» ويعتقد بأنها تحتاج

إلى شرح، مشيراً إلى الاختلافات في القدرات الإدراكية التي تتمثل في تفوّق البنات عموماً في المجال الكلامي الشفهي، بينما تتمثل في تفوّق الأولاد في مجال الرياضيات.

كما يتحدث عن الاختلافات المتعلقة بالحياة العاطفية، وفي اختيار شريك أو شريكة الحياة.

ويلفت انتباهنا إلى الطرائق العديدة لتقييم الرجل والمرأة لمكانة وموارد شريك أو شريكة الحياة، وكذلك اهتماماتهم المختلفة في شأن تربية النشء وميل الرجل إلى العدوان والتنافس والبحث عن المكانة.

وكل هذه الاختلافات تعتبر مناسبة في المناظرة التربوية في السياق الأوسع للاستعداد للحياة العملية والأسرية.

ويركز البروفيسور «تولي» على الطريقة التي يتم بها توجيه الرجال والنساء نحو الوظيفة والعلاقات من خلال التأثيرات التي يتلقونها من خلال الطريقة التعليمية التي تلقوها في المدرسة، كما يرى بأن هذا التوجيه قد يصطدم بخيارات العديد من النساء في الحياة.

وفي معرض حديثه عن تربية الأطفال أشار البروفيسور «تولي» إلى دراسة كلاسيكية تسمى «النساء في المزارع الجماعية» (Women in the Kibbutz) قائلاً: بأنه لتفادي التباين بين الجنسين تم تحرير النساء من اعتمادهن الاقتصادي على الرجال، كما تم

إعفاؤهن من مسؤولية رعاية الأطفال، إلا أنه من الأشياء المثيرة للسخرية أن التجربة الطوباوية التي كان الهدف منها تحرير النساء من مسؤولية رعاية الأطفال حوّلتهن إلى أمهات يطالبن بحقّهن في الأمومة! ويقول (مات ريدلي Matt Ridley) بأن عمّال المزارع الجماعية عادوا إلى ممارسة الصور النمطية في حياتهم.

ويقول البروفيسور «تولي» بأنه ينبغي القيام بمحاولة البرهنة على أن الفوارق بين الجنسين هي فوارق بيولوجية ولا علاقة لها بسيطرة وتأثير الرجال، ويقول بأنه إذا كانت هذه الفوارق بيولوجية فإنه يتعين التفكير بعناية في المحاسن والمساوئ عند القيام بمحاولة تغيير الأشياء [وتحويلها عن وجهتها الصحيحة]. كما قال بأن «غرير» هي المفكرة النسوية الوحيدة التي اقتربت من هذا النوع من التفكير، حيث قالت بأن هناك أدلة كثيرة تبين أنه مهما تمت محاولة تربية الأطفال بكيفية متحررة من مفاهيم «الجندر» (النوع) إلا أنهم سوف يختلقون «الجندر» من تلقاء أنفسهم.

ويعتقد كل من (غراغليا Graglia) و (كريتندن Crittenden) و (سكراتن Scruton) بأن الفوارق بين الجنسين قد تستند إلى واقع بيولوجي وهرموني، ويعتبر علم النفس النشوئي أحد عوامل اقتناعهم بهذه الحقيقة، وقد كتبت «غراغليا» في معرض حديثها عن افتتان «سيمون دي بوفوار» بعشيقها «الأرفع منزلة والأعظم نفوذاً» مشيرةً إلى أن عالم النفس

النشوئي (ديفيد باس David Buss) أثبت الأساس البيولوجي لافتتان النساء بالرجال الأقوياء والأعظم منهن منزلة والذين بإمكانهم حمايتهن وإعالتهن بينما يقمن هنّ برعاية أطفالهم، كما قالت بأن رغبة الرجال في أن تكون زوجاتهم مخلصات وكذلك الغيرة التي يبدونها ما هي إلا «حقائق من حقائق الحياة».

وعلى الرغم من أن هذا الحقائق لم يتم توثيقها إلا مؤخراً من قِبَل علماء النفس النشوئيين إلا أنها كانت دائماً ولا زالت جزءاً من معرفتنا الثقافية، كما اعتبرت قيام النساء بالممارسات الجنسية العَرَضية ممارسات غير لائقة، مشيرةً كذلك إلى أن علماء النفس النشوئيين قد أثبتوا ودعموا قناعاتنا بالحقائق البيولوجية.

ويناقش البروفيسور «تولي» قضية الحركة النسوية حول خمسة فروق بين الجنسين، ويقارنها بالأدلة التي جاء بها علم النفس النشوئي، وهي كالتالي:

١ ـ القدرة المكانية [مَلَكَةُ الاستيعاب]:

تعتقد الوكالات الحكومية والكاتبات النسويات بأن التنشئة الاجتماعية هي السبب في اعتقاد البنات بأن مادة الرياضيات مادة «غير أنثوية»، وبأنه يتم تشجيع البنات على قطع صلتهن بهذه المادة في سنٍّ مبكرة، بينما تقوم القوى الاجتماعية بتشجيع الأولاد على الاهتمام بهذه المادة ومثيلاتها من

المواد الدراسية، كما يدعين أن هناك عوامل أخرى، منها: تأثير الوالدين وتوقعات المعلمين. إلا أن علم النفس النشوئي يتحدى هذه الرؤى ويأتي بتعليل نظري ضمني بخصوص سبب حدوث هذه الفوارق بين الجنسين، كما يقوم بتعليل أسباب اختلاف القدرات بين الجنسين، ويبين بطريقة تجريبية بأن هذه القدرات موجودة فعلاً.

٢ ـ أساس تفضيل النساء الناجحات اقتصادياً لأزواجهن:

أظهرت البحوث التي تم إجراؤها في العديد من المجتمعات بأن النساء عموماً يفضّلن الأزواج الذين يكبرونهن في السنّ وذوي المكانة والموارد. إلا أن النسويات يحاولن أن يبرهنّ بأن السبب في ذلك يعود إلى حرمان النساء من هذه الأشياء في «الأنظمة الأبوية»، ففي الماضي كان على المرأة البحث عن رجل يمكّنها من الحصول على الاستقرار الاقتصادي المادي، ولكن بزيادة عدد النساء ذوات الاستقرار المادي في صفوف القوى العاملة فإنهن لم يعدن يرغبن في المكانة العالية عن طريق الزوج، إلا أن الأدلة التي ساقها علماء النفس النشوئيون أبطلت هذا التوقع تماماً، إذ أثبتت هذه النتائج بأن أمر تفضيل النساء للأزواج الأكبر سنّاً والأكثر نجاحاً أمر واضح وملاحظ، حتى بين الأمريكيات الناجحات اقتصادياً.

٣ ـ التفضيلات الجنسية للرجال:

من الحقائق المعلومة لدى الجميع أن الميول الجنسية عند الذكور تتجه

دائماً نحو النساء الأصغر سنّاً، وبأن الجمال عند المرأة هو في الحقيقة مؤشر رئيسي لشباب وصحة المرأة وطبعاً خصوبتها، ولإثبات هذه الحقيقة قام علماء النفس النشوئيون بإجراء مجموعة من البحوث شملت ثقافات بشرية عديدة، وتبين لهم بأن للرجال مقاييسَ مشتركة للجمال تركز أساساً على علامات الخصوبة عند المرأة.

٤ ـ تربية الأطفال:

تقضي النساء وقتاً أطول من الرجال في رعاية الأطفال، وقد لوحظ هذا الأمر في العديد من الثقافات البشرية، كما أثبتت البحوث بأن النساء لا يتوفرن على ميول طبيعية لتربية الأطفال بناءً على طبيعتهن البيولوجية فحسب، بل كذلك على بعض الآليات النفسية التي تجعل تربية الأطفال لديهن أكثر فعالية.

٥ ـ الفروق بين الجنسين بخصوص الغيرة الجنسية:

من الأشياء التي كانت تعتبر حقيقة من الحقائق لفترة من الوقت أنه لدى الرجال والنساء غيرة جنسية، إلا أن البحوث التي قام بها علماء النفس النشوئيون مؤخراً أثبتت أن هناك فروقاً بين الجنسين بخصوص هذا النوع من الغيرة، وكانت النتائج التي توصلوا إليها أن الرجال أكثر غيرةً من النساء فيما يتعلق بالجانب الجنسي، في حين أن النساء أكثر غيرة من الرجال فيما يتعلق بالجانب العاطفي.

ويؤمن البروفيسور «تولي» بما يقوله علماء النفس النشوئيون، ويعتقد بأن هذا الفرع المعرفي يقدم تفسيراً شاملاً للأساس البيولوجي للعديد من الفروق ذات الدلالة التربوية بين الجنسين، إلا أنه يعترف مع ذلك بأن العديد من الناس لا يؤمنون بالنظرية النشوئية كخيار في حالة عدم إيمان القارئ بالله الذي قام بوضع هذه الفوارق البيولوجية.

من المعتقدات الأساسية للنسويات أن النساء مظلومات ومضطهدات، ويبحث البروفيسور «تولي» في طرائق الاضطهاد المفترض للنساء، ويحدد مدى إمكانية تفسيرها على أساس بيولوجي للفروق بين الجنسين، ويصف هنا ثلاثة وجوه للظلم الذي عادةً ما يكون في كتابات الحركة النسوية، وهذه الوجوه الثلاثة للظلم هي ظلم التفاوت أو اللامساواة، ظلم التقييد، وظلم التجريد من الصفات الإنسانية.

١ ـ ظلم التجريد من الصفات الإنسانية:

يمكن تعريف هذا النوع من الظلم بأنه: التجريد النظامي لمجموعة بشرية من الصفات الإنسانية كهدف قابل للتحديد.

على سبيل المثال: العبيد بشرٌ تمّ حرمانهم من الحرية والاحترام والكرامة، ويجرّ هذا للقول بأن العبيد سواء من الرجال أو من النساء مظلومون ومضطهدون.

وتستعمل النسويات هذا المثال للبرهنة على أن النساء مظلومات، إلا أن

استعمالهن لهذا المثال للبرهنة على ظلم النساء في الحقيقة تجاهل للحاجات والقدرات المختلفة للرجال والنساء.

ويقول البروفيسور «تولي» بأن معاملة النساء بطريقة مختلفة لرغبتهن في معاملة مختلفة لا يعني بأنهن مظلومات، وأن اعتراض النسويات على أشياء معينة في المجتمعات الغربية لا يعني بأن الممارسات هناك ظالمة، بل هذا فقط يعني بأن الأولاد والبنات يستجيبون للإمكانيات بطرائق مختلفة، وأنهم يحيون حياةً مختلفة تماماً، ويمكن تبريرها بالكلية فيما بعد عندما يصبحون رجالاً ونساءً.

٢ ـ ظلم التقييد:

ويتمثل هذا النوع من الظلم في فرض قيود ظالمة على الحرية الفردية أو الجماعية، والمصطلح الذي يستعمل في هذا المضمار هو «الإقصاء».

ويتم تعريف الرجال في المجتمعات المعاصرة بالفعالية والعقلانية والقوة، في حين يتم تعريف النساء بالسلبية والنزوع إلى الحدس والضعف، ويعتقد (جاكار Jaggar) بأن الرجال والنساء الذين يطابقون هذه التعريفات حتماً يُقصون أنفسهم عن بعضهم البعض لامتلاكهم هذه القيم والتصورات المتنافرة.

ويرى البروفيسور «تولي» أنه بتطابق الرجال والنساء مع هذه التعريفات فإنهم يفرضون قيوداً على حرية الاختيار لديهم، إلا أن القيود المفروضة

على النساء تختلف عن القيود المفروضة على الرجال.

على سبيل المثال: إذا تسببت الصور النمطية للنوع «الجندر» ـ فيما يتعلق باختيار المواد الدراسية في المدارس ـ إلى قيام النساء باختيار الوظائف التي تُعنى عموماً بالعناية والاهتمام بالآخرين وليس العلوم والتكنولوجيا، فإنه لا يجب أن يوصف هذا الخيار بأنه ظالم إذا كان هذا الخيار هو ما تُريده النساء فعلاً. وإذا كان الإقصاء راجعاً إلى الفروق البيولوجية بين الرجال والنساء فإنه لا يمكن تغيّره بسهولة من خلال الإصلاح الاجتماعي.

٣ ـ ظلم التفاوت:

يحصل هذا النوع من الظلم عندما يتم منع المجموعات المظلومة من الحصول على نصيبها العادل من الموارد النادرة والقيّمة، مثل: الغنى والقوة والنفوذ، وإذا لم تتمكن النساء من الحصول على الثروة والدخل المتساوي في المجتمع فلعلّ هذا يرجع إلى أن الفروق في حاجات ورغبات الرجال والنساء تخفف هذا المصدر المحتمل من الظلم.

ويضرب البروفيسور «تولي» مثالاً بأمّه قائلاً بأنها في الوقت الذي كانت تشرف فيه على رعاية أطفالها وتعمل بأكثر من كامل ساعات الدوام كربّة بيت فإنها عملت أيضاً جزءاً من ساعات الدوام مقابل أجرة، إلا أنها رغم ذلك فإن فكرة أنّ دخل زوجها يفوق دخلها بكثير لم يقلقها البتة؛ لأنها تعلم أن واقع بنية الأسرة يعني أن دخله بالكامل هو أصلاً للأسرة وليس له

وحده كفرد فقط.

ويقول البروفيسور «تولي» بأن أمه كانت ستعتبر حتماً مظلومة من ناحية المساواة بهذه المقاييس إذا لم تكن قادرة على الاعتماد على زوجها، وإذا كانت قلقة باحتمال قيامه بالتخلّي عنها والبحث عن امرأة أخرى تصغرها سنّاً وغير مثقلة بأية تبعات من خلال الطلاق المشار إليها سابقاً والذي لا يحصل بدون أي سبب فإن هذا سيكون حتماً قد ساعد على ظلمها.

لقد أدّت مناصرة النسويات للطلاق والتشجيع عليه إلى فرض عدم الأمن والاستقرار هذا على النساء، ويقول بأن النسويات هنّ اللاتي يظلمن النساء وليس «النظام الأبوي»، وأنه إذا اختار المجتمع أن يعامل النساء بطريقة مختلفة بناءً على اعترافه بالفوارق المهمة بين الرجال والنساء فإن هذا لا يعتبر بالضرورة ظلماً.

وخلاصة القول أن البروفيسور «تولي» يرى من الصعوبة اعتبار بأن النساء كمجموعة مظلومات إذا كان المنهاج الدراسي في المجتمع يؤكد الفوارق وليس التشابه بين الجنسين، على الرغم من إمكانية شعور بعض النساء اللاتي لا يتطابقن مع الصور النمطية بالظلم، وكمثال على ذلك: تلك الفتاة التي تطمح إلى أن تكون عالمة رياضيات عظيمة إلا أنه بسبب إجبار المنهاج الدراسي الإلزامي في مدرستها الفتيات على دراسة مواد

مختلفة عن المواد التي يدرسها الأولاد فإنها ستكون مظلومة بكل ما في الكلمة من معنى.

قد ينشأ هذا الوضع بسبب قيام النظام المدرسي بجعل دراسة هذه المادة بالنسبة لها أمراً صعباً إما بسبب تنظيم الجدول الصفي، أو لإمكانية دراستها لهذه المادة فقط في قسم البنين، أو لأسباب أخرى، وهذه بالنسبة لها ـ طبعاً ـ شيء صعب من الناحيتين العملية والنفسية. كما يمكن اعتبار إجبارها على القيام بخيارات صعبة نوعاً من أنواع الظلم لها.

قد يؤدي المنهاج الدراسي الإلزامي وبعض مظاهر النظام المدرسي إلى الظلم، إلا أن هذا الظلم قد يمكن التخفيف منه إذا لم يمكن القضاء عليه كلياً من خلال الحرية الصفّية وحساسية الفروق الفردية في المدارس والكليات.

ويريد البروفيسور «تولي» أن يبين بوضوح بأنه لا يعتقد بأن كل النساء متشابهات بخلاف المفكّرات النسويات في المجال التعليمي اللاتي يضعن السياسات التعليمية لكافة النساء، كما يريد أن يبين بأن آراء كثير من النساء بهذا الخصوص تظلّ غير مسموعة، ولو أتيحت لهن الفرصة للتعبير عن رأيهن لأثبتن بأنهن يرغبن في نوع مختلف من التعليم يتلاءم وطموحاتهن وكذا طبيعتهن الأنثوية.

إن الشيء الذي تكرهه النسويات ويعترضن عليه هو «النظام الأبوي»

وهيمنة الرجال القاهرة على النساء في الأسرة والمجتمع عموماً.

ومن الأشياء التي تعترض عليه النسويات مثل هيمنة الرجال على المجال العام قد يكون نتج بسبب رغبة النساء لرجال من نوع معين واستجابة الرجال لهذه الرغبة.

إلا أن البروفيسور «تولي» يتساءل عن ما إذا كان المجتمع يشكل نظاماً أبوياً أو أمومياً، إذ بإلقاء نظرة سطحية على بعض مظاهر المجتمع يظهر أن الرجال يتمتعون بالقوة والنفوذ، ولكن بإلقاء نظرة متعمقة على التفاصيل يتبين بأن العديد من المؤسسات ظهرت من خلال التفاعل المتبادل لرغبات النساء من جهة وكدح الرجال للاستجابة لهذه الرغبات من جهة أخرى.

ترغب النسويات في إصلاح المدارس حتى تصبح أماكن تتحقق فيها المساواة الكاملة بين الجنسين والتأكد من أن هذه المساواة تشمل السلوك ومنهاج الدراسة عند الأولاد والبنات على حد سواء. وإذا أفلحت النسويات في مجال التعليم في مقاومة الميول الطبيعية عند الأولاد والبنات في الفصل فإن هذا سيحول المدارس إلى أماكن لا يتحقق فيها النجاح لأي من الجنسين، وإذا تحولت المدارس إلى أماكن تحاول القضاء على كل ما هو ذكوري فإن النتيجة بلا شك ستؤدي إلى زيادة نسبة الاستياء في صفوف الأولاد.

ويقترح (ميلر Miller) بأن جلَّ الأشياء التي نقدرها في المجتمع ـ مثل:

الفنون واللغة والفضيلة ـ قد تكون نشأت نتيجة آلية التنظيم الأنثوي للسلوك الذكوري، وتجد هذا الأفكار مطابقةً في التعليم التقليدي حيث نجد بأن البنات هنّ اللاتي يطلبن السلوك الحسن من الأولاد ويستنكرن عدم الانضباط وأعمال التخريب التي يقومون بها، كما يحثونهم على استغلال أوقاتهم وجهودهم فيما يعود عليهم بالنفع والفائدة.

ويلاحظ المفكر (كريستوفر لاش Christopher Lasch) بأن النسويات في القرن التاسع عشر أدركن بأن النساء يمثلن «قوات الفضيلة المنظّمة» في المجتمع الذي يقمن فيه بدورهن التقليدي كمنظّمات لسلوك الرجال.

أما في الوقت الحاضر فلم تعد الفتيات منظّمات لسلوك الأولاد، بل على العكس من ذلك تماماً، فقد أصبحن عدوانيات وتنافسيات، مثلهن في ذلك مثل الأولاد.

ويقترح البروفيسور «تولي» بأن هذا التركيز على البنات هو الذي أدّى إلى ظهور ما يسمى «بقوة البنات»، وهذا هو الشيء الذي تربطه (غرير Greer) بظهور حركة النسويات اللاتي يطالبن بالمساواة و «ارتباطها الفاسد جعل الأشياء تجارية وقائمة على الربح المادي»، وتقول: «تتّسم الثورة التي تمتد لفترة طويلة بمراحل عديدة وبدايات خاطئة وطرق غير نافذة يتعين اكتشافها كلها قبل العثور على طريق نافذ». ومن الطرق

غير النافذة بالنسبة لها التجربة المأسوية والقصيرة الأمد «للبنات الفاسدات».

على الرغم من احتمال كون تجربة الفتيات الفاسدات تتابعاً موجزاً من الممارسات العرضية والفوضوية ـ من شرب الخمر، والممارسات الجنسية العرضية، والأمراض التناسلية، والحمل غير المرغوب فيه، التي ستتحمل نتائجها كل حياتها ـ إلا أن هذه الظاهرة الثقافية تظل متينة إلى حدٍّ يدعو إلى الكآبة مع السنّ المتوسطة لهؤلاء «فاسدات الأخلاق» اللاتي يصغر سنّهن من سنة إلى أخرى بحيث يتقلص عمر اللاتي ينهجن نهجهن عاماً بعد عام.

وقد أصبحت الفتيات اللاتي يتصرفن بنفس فظاظة الأولاد يُطلق عليهن مسمى «رموز تسويات المساواة». ففي خلال السنة والنصف قبل حلول شهر مارس من عام ١٩٩٨م، سجل خط المساعدة الساخن للأطفال (Kidscape) زيادة بنسبة (٥٥ ٪) من المكالمات التي أجرتها الفتيات اللاتي تشتكين من اعتداء بنات أخريات عليهن.

ويعزون هذه الظاهرة إلى التأثير الضار والسلبي لفرقة (سبايس غولرز Spice Girls) الموسيقية النسائية البريطانية، ويصفن هذا النوع من السلوك بأنه «قذارة بغيضة» لمجلات المراهقات الموجهة للفتيات. ويقلن بأن الفتيات الناشئات يتعلمن بأن نوع الحياة الجديرة بالحياة هي الحياة التي

لا تخضع لأية قيود، الحياة الحرة التي تتّسم بالأكل غير المنظم وشرب الخمر وتعاطي المخدرات والممارسات الجنسية العرضية.

ويعتقد البروفيسور «تولي» بأن المجتمع يفقد شيئاً ذا قيمة بالغة وذلك بتشجيع الفتيات على اقتحام مجال المنافسة المفتوحة مع الأولاد، كما يعتقد بأنه لن يكون هناك أي نوع من الظلم إذا تركنا الأولاد والبنات كلٌّ في مجاله الخاص به، وبأن الفتيات سيتعرضن فعلاً لظلم أشد إذا لم يمنحن الفرصة للقيام بما يتناسب وطبيعتهن.

ويختم البروفيسور «تولي» كتابه بالتأكيد على أن النساء اللاتي يمارسن العمل المنزلي والحياة العائلية على الوظيفة العامة لَسْنَ مظلومات أو مقهورات. ويقدم خمسة مقترحات متواضعة:

١ ـ فسح المجال للنقاشات المفتوحة بشأن هذه القضية الحاسمة، إذ يبدو بأن الجمهور والصحافة ووسائل الإعلام يسلّمون جدلاً بأن هناك قناة واحدةً للتثقيف والوعي، وهذا غير صحيح، بل يجب توسيع نطاق المناظرة وفتح باب الحوار المفتوح.

٢ ـ التوقف عن القلق بشأن قلّة نسبة الفتيات اللاتي يدرسن العلوم والرياضيات، لأن السبب في هذه النسبة الضئيلة هو أن هذه المواد لا تتناسب مع خياراتهن الطبيعية.

٣ ـ لا ينبغي للإطار القانوني فرض حياد «الجندر» أو انحياز «جندر» معين

على المؤسسات التعليمية.

٤ ـ ينبغي تشجيع المؤسسات التعليمية على الابتكار بناءً على الفوارق الجنسية في كل ما يتعلق بأساليب التعلّم والتقييم والمنهاج الدراسي وعلم أصول التدريس (البيداغوجية)، ويتعين إيجاد كل ما هو صالح للأولاد والبنات، ولا يجب افتراض أن كل شيء يتم ابتكاره وإيجاده سيكون دائماً صالحاً لهما معاً.

٥ ـ يجب قبول فكرة أن الأولاد والبنات عموماً قد تكون لديهم أولويات مختلفة في حياتهم.

وتلاحظ الكاتبة (دانييل كريتندن Danielle Crittenden) في كتابها المعنون «الأشياء التي لم تخبرنا أمهاتنا عنها» الطريقة الانهزامية التي تتبعها النساء في الوقت الحاضر في التخطيط لحياتهن قائلةً: «نستهلّ وظائفنا في العشرينات من العمر حيث نكون أكثر خصوبة جسدياً، ولكن لا نجد أنفسنا عاقلات كما ينبغي ولا ذوات تجربة بحيث نحصل على مكانة مهنية محترمة، ثم نحاول بعد ذلك التفكير في [الزواج] وإنجاب الأطفال عندما نشعر بزوال الوظيفة ولا تكون أجسادنا قادرة على الحمل». إلا أنها تكتشف الحل بكيفية مترددة فتقول: «إني أتساءل إذا كان بالإمكان أن نحيا حياتنا بالطريقة المعاكسة لهذه الطريقة، بحيث نتزوج باكراً وننجب الأطفال باكراً ثم نطلب الوظيفة لاحقاً».

ويختتم البروفيسور «تولي» كتابه قائلاً: «إن الشيء الذي يجب أن نتخلص منه هو الإلزام الرامي إلى ردم فجوة «الجندر»، وبدلاً من ذلك يتعين علينا أن لا نشعر بأي تحفّظ ونحن نمجد الفوارق بين الجنسين، هذه الفوارق التي لا محالة أوجدت العديد من الأشياء التي نقدرها حق قدرها في الثقافة الإنسانية».

المصادر والمراجع

(1) Arnot, M. David, M. and Weiner. G., (1999) closing The Gender Gap: Postwar Education and Social Change. London: Polity Press.

(2) Arnot, M. Gray, J. James, M. Ruddock, J. with Duveen, G. (1998) Recent Research on Gender Educational Performance. London. Ofsted.

(3) Blanchflower, D.G and Oswald, A.J (2000) Well -Being Over

Time in Britain and the USA. NBER Working Paper Series. Working Paper 7487, National Bureau of Economic Research, Cambridge, MA (www.nber.org/papers/w7487).

(4) Crittenden, D. (1999) What Our Mothers Didn't Tell Us: Why Happiness Eludes the Modern Women. New York.

(5) De Beauvoir, S. (1949) 1993 The Second Sex. London. Everymans Library.

(6) Equal Opportunities Commission (1985) Do You Provide Equal Educational Opportunities? (Revised ed.).Manchester: EOC.

(7) Friedan. (1963) The Feminine Mystique Harmondsworth: Penguin Books .

(8) Friedan, B. (1981) The Second Stage. London: Michael Joseph.

(9) Friedman, M and Friedman, R.D (1998) Two Lucky People: Memoirs. Chicago and London: University of Chicago Press.

(10) Graglia, F.C (1998) Domestic Tranquility: A Brief against Feminism. Dallas, TX: Spence Publishing.

(11) Greer, G. (1970) The Female Eunuch .Paladin.

(12) Greer, G. (2000) The Whole Woman. London. Transworld.

(13) Halpern, D.F (1992) Sex Differences in Cognitive Abilities

(2nd edn) Hillsdale, NJ, and London: Lawrence Erlbaum.

(14) Jaggar, A.M (1983) Feminists in Politics and Human Nature. Brighton UK: The Harvester Press.

(15) Kenway, J. and Willis, S. with Blackmore, J. and Rennie, L. (1998) Answering Back: girls, boys and Feminism in Schools. London and New York: Routledge.

(16) Lasch, C. (1997) Haven in a Heartless World: The Family Besieged. New York: Basic Books.

(17) Miller, G. (2000) The Mating Mind: How Sexual Choice Shaped the Evolution of Human Nature. London; Heinemann.

(18) Paechter, C. (1998) Educating the Other: Gender, Power and Schooling. London: Falmer Press.

(19) Phillips. (1999) The Sex Change Society: Feminized Britain and the Neutered Male. London: Social Market Foundation.

(20) Ridley, M. (1993, 1994) The Red Queen: Sex and the Evolution of Human Nature. London Penguin Books.

(21) Scruton, R. (1999) 'Modern Manhood' City Journal, 9(4) 80-

Tiger, L. and Shepher, J. (1975) Women in Kibbutz. New York: Brace.

(22) Title IX: ' A Sea of Change in Gender Equity in Education',

p3, www.ed.gov/pubs/TitleIX/part3.html.

(23) Wolf, N. (2001) Misconceptions: Truth, Lies and the Unexpected on the Journey to Motherhood. London: Chatoo & Windus.